



كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم اللغة العربية

مرحلة الدكتوراه / لغة

معاني الابنية

المغايرة بين الاسم والفعل في الأبنية المتماثلة في القرآن الكريم

أ.د.خولة محمود فيصل

العام الدراسي 2025-2026

معنى المغايرة في الصيغ وطبيعة تركيبها:

هو أن لفظ التغيير يراد به معنى التحول من حال إلى أخرى، يعنى التبديل، إضافة إلى جعل الشيء المتغير على غير ما كان عليه في الأصل، وتغيرت الأشياء، أي: اختلفت، لذلك فمن المواضع التي تحصل بينها المغايرة هي:

2 - بين الفعل المضارع والمصدر

1 - بين الفعل المضارع واسم الفاعل

إن الأبنية المتماثلة بين ألفاظ القرآن الكريم مع التَّنوع بين الإسميَّة والفعلية، وما ينطوي تحتها من جزئيات تُعد وجهًا من وجوه إعجاز هذا الكتاب المبارك، ولونًا من ألوان بلاغته وفصاحته.

وليس مجيء تلك الأبنية تكرارًا، ولغوا؛ لأنه يستحيل عليه الاختلاف والحشو واللغو **﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾** [فصلت 42].

فالأبنية المتماثلة وجه من وجوه إعجازه البياني، فهذا التَّحوُّل في الصيغ في السِّياق القرآني، أو العُدول من صيغة إلى صيغة أخرى يُعدُّ أحد روافد التَّحليل اللُّغوي، بل يمثِّل إحدى الوسائل التي تساعد على التَّماسك الشَّكلي، وتُعدُّ مدخلًا من مداخل التَّحليل اللُّغوي للنَّص؛ للوصول إلى المضمون أو الغاية الدَّلاليَّة من تشاكل الألفاظ، يقول ابن الأثير: "اعلم أيُّها المتوسِّح لمعرفة علم البيان، أنَّ العُدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك، وهو لا يتوخَّاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة و البلاغة، الذي اطَّلع على أسرارها، وفتَّش عن دفاننها، ولا تجد ذلك في كلِّ كلام فإنَّه من أشكال ضروب علم البيان، وأدقِّها، وأغمضها طريقًا".

والبحث في دلالة الأبنية المتماثلة، بحث في التنوع الأسلوبي؛ لأنه مرتبط بالتحليل اللغوي، فالمغايرة بين الألفاظ ظاهرة أسلوبية خاضعة للسياق، فمتى كان المقام مقتضياً للمغايرة، ومراوحة الأسلوب بين فنّ وفنّ وجدنا النظم القرآنيّ منسجماً مع هذا التغيّر بأبلغ سبيل، ومتى كان المقام مقتضياً لاستمرار الأسلوب على طريقة، أو فنّ واحد وجدت البلاغة متحقّقة في النظم.

وتعدّ المناسبة في البيان القرآنيّ موضوعاً دقيقاً، وجليلاً الشّأن في آن معاً، دقيقاً؛ لأنّه يبحث ويتناول وجهاً لطيفاً من أوجه بلاغة القرآن، وجليلاً؛ لأنّه يستلزم المعرفة بدقائق الاستعمال اللغويّ معجمياً، وصرفياً، ودلالياً.

اختلاف أبنية الألفاظ ومن ذلك:

اختلاف الأبنية بين الإسمية والفعلية:

المغايرة بين الاسم والفعل في التّركيب طريقة من طرق التّلوين في الخطاب، ففي القرآن الكريم أبنية متماثلة من حيث الإسميّة والفعلية، فترد في موطن بالصيغة الإسميّة، وفي موطن آخر بالصيغة الفعلية.

يقول عبد القاهر الجرجانيّ وهو يتكلم على الفرق بين الإسناد إذا كان بالاسم وبينه إذا كان بالفعل: "وبيانه أنّ موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشّيء من غير أن يقتضي تجدّده شيئاً بعد شيء. وأمّا الفعل فموضوعه على أن يقتضي تجدّد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء. فإذا قلت: زيدٌ منطلقٌ فقد أثبت الانطلاق فعلاً له من غير أن تجعله يتجدّد ويحدث منه شيئاً فشيئاً، بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك: زيدٌ طويلٌ وعمرو قصيرٌ فكما لا يقصد ههنا إلى أن تجعل الطُّول أو القصر يتجدّد، ويحدث بل توجبهما وتثبتهما فقط وتقتضي بوجودهما على الإطلاق، كذلك لا تتعرض في قولك: زيدٌ منطلقٌ لأكثر من إثباته لزيد. وأمّا الفعل فإنّه يقصد فيه إلى ذلك، فإذا قلت: زيدٌ ها هو ذا ينطلق فقد زعمت أنّ الانطلاق يقع منه جزءاً فجزءاً وجعلته يزاوله ويزجيه".

ويقول الفخر الرازي: "الاسم له دلالة على الحقيقة دون زمانها، فإذا قلت: زيد منطلق لم يُفد إلا إسناد الانطلاق إلى زيد. وأمّا الفعل فله دلالة على الحقيقة وزمانها، فإذا قلت: انطلق زيد أفاد ثبوت الانطلاق في زمان معين لزيد، وكلّ ما كان زمانياً فهو متغير، والتّغير مُشعر بالتّجدد، فإنّ الإخبار بالفعل يفيد وراء أصل الثبوت كون الثّابت في التّجدد والاسم لا يقتضي ذلك".

فإذا كان هناك آيات قرآنية وردت فيها مفردات بالصيغة الاسمية وفي نظائرها بالصيغة الفعلية، فلا بد أن يكون هناك سبب للتخصيص بحيث لا يمكن أن تقع مفردة مكان نظيرتها، ولو وقع لاختلّ النظم.

وسنحاول في النصوص الآتية تحليل الفرق في المعنى عند المغايرة بين الاسم والفعل في الأبنية المتماثلة:

أ- بين الفعل المضارع واسم الفاعل:

(1) وردت الصيغتان يُخرج ومُخرج في سياق قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام 95] حيث جاء المعطوف فيها اسماً (مُخرج).

وفي سياق قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [يونس 31، والروم 19] حيث جاء المعطوف فعلاً (ويخرج).

وقد ظهرت المغايرة في السياقين في أحوال المسند بين صيغتي الفعل والاسم وهذه المغايرة تمثّل في النص نوعاً من أنواع الترابط؛ لأنّ الأصل أن يعطف الفعل على الفعل، والاسم على الاسم.

قاعدة نحوية: الاسم يدل على الثبوت والفعل يدل على الحدوث والتجدد. وهذه الآية تدخل في هذه القاعدة.

فأبرز صفات الحيّ الحركة والتجديد (من الحياة) وقد قال تعالى مع الحيّ (يُخرج الحي من الميت) جاء بالصيغة الفعلية التي تدل على الحركة، ومن صفات الميتّ هو السكون لذا جاء بالصيغة الإسمية مع ما تقتضيه من السكون.

وقد اختلفت نظرة اللُّغويين والمفسِّرين في توضيح تلك المغايرة في قوله: ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾، فهو معطوف على الفعل الذي قبله أم على اسم الفاعل في: ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾؟ فذهب الأكثرون منهم إلى أنه معطوف على اسم الفاعل فالق الحب وهذا ما أفصح به الخطيب الإسكافي؛ اعتمادًا على السِّياق اللُّغويِّ السَّابِق في قوله: ﴿فَالِقُ الْحَبِّ﴾ واللاحق في قوله: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام 96]، وعدّ ذلك من باب التَّنَاسُب والتَّنَاسُق اللَّفْظِيَّ في التَّرْكِيب.

وعلى غرار هذا الإفصاح يأتي الزمخشريُّ متسائلًا: “كيف قال: ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ بلفظ اسم الفاعل، بعد قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾؟ قلت: عطفه على ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ لا على الفعل. و﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ موقعه موقع الجملة المبيّنة لقوله ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾؛ لأنّ فلق الحبّ والنوى بالنبات والشجر الناميين من جنس إخراج الحي من الميت؛ لأنّ النامي في حكم الحيوان، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم 19].”

وذكر السّمين الحلبيُّ وجهين في اسم الفاعل مخرج: الأوّل: ما تقدّم من كونه معطوفًا على فالق، والثّاني: أنّه معطوف على يخرج ويؤول الفعل حينئذ بالاسم، واستدلّ بقول الشّاعر:

فَأَلْفَيْتُهُ يَوْمًا يُبِيرُ عَدُوَّهُ وَمَجْرٍ عَطَاءً يَسْتَخِفُّ الْمَعَابِرَا

أي: مُبِيرًا.

بَاتَ يُعْشِيهَا بَعْضُ بَاتِرٍ يَقْصِدُ فِي أسُوقِهَا وَجَائِرُ

أي: قاصد.

ويؤكد الرازيُّ هذه المناسبة بين الاسم والفعل، وهي أنّ: “الحيّ أشرف من الميت فوجب أن يكون الاعتناء بإخراج الحيّ من الميت أكثر من الاعتناء بإخراج الميت من الحيّ؛ فلهذا

المعنى وقع التَّعبير عن القسم الأول بصيغة الفعل، وعن الثَّاني بصيغة الاسم؛ تنبيهًا على أنَّ الاعْتناء بإيجاد الحيِّ من الميت أكثر وأكمل من الاعْتناء بإيجاد الميت من الحيِّ".

ويفصح الدكتور فاضل السَّامرائي بدلالة أقرب إلى تحليل الرازي، حيث أفاد أنَّ الفعل يدلُّ على الحدوث والتَّجدُّد، وأمَّا الاسم فيدلُّ على الثُّبوت، فاستعمل الفعل يخرج مع الحيِّ؛ لأنَّ أبرز صفات الحيِّ الحركة، واستعمل الاسم مخرج مع الميت؛ لأنَّ الميت في حالة همود وسكون وثبات.

(2) ومن الصِّغ التي تتغاير بين الاسمِيَّة والفعليَّة في سياقهما، صيغتا: أنصح وناصح فهاتان الصِّغتان كلتاها وردتا في قصتين مختلفتين الأولى في سياق قصة نوح - عليه السلام - في قوله تعالى: ﴿أَبْلِغْكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحْ لَكُمْ﴾ [الأعراف 62]، والثَّانية في سياق قصة هود - عليه السلام - من قوله تعالى: ﴿أَبْلِغْكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف 68].

جاء التَّركيب الأوَّل باستعمال المسند فعلاً: أنصح لكم، وفي التَّركيب الثَّاني جاء المسند اسماً: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾، فما سرُّ المغايرة بين البناءين؟.

يُرجع الخطيبُ الإسكافيُّ وجه المغايرة إلى أنَّ نوحًا ضلَّ من قومه، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف 60]، وأمَّا هود فسُقِّفه من قومه، قال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف 66]، والضلَّال من صفات الأفعال! والسَّفاهة من صفات النَّفس، وهي معنًى ثابت وضدها الحلم، فلمَّا عيب نوح - عليه السلام - بفعل مذموم نفاه بفعل محمود بل بأفعال محمودة. وأمَّا هود - عليه السلام - فَرَمِي بالسَّفاهة، وهي صفة مذمومة ثابتة فلا يتحوَّل عنها الإنسان سريعًا، فكان المناسب نفي ذلك بصفة أو صفات ثابتة ناصح أمين، أي ثابت في النَّصح لا أنتقل عنه إلى غشٍّ.

وأقرب من هذا التَّوصيف لتلك المغايرة ما ذهب إليه ابن جُماعة حيث ذكر أنَّ الضلَّال صفة غير ثابتة فيمكن الخلوص منه سريعًا، وهو يتجدَّد بترك الصَّواب إلى ضده فقبول في قول نوح

– عليه السلام – بفعل يناسبه وأنصح. وأمّا هود فقد أتهم بالسفاهة، وهي من الصفات اللازمة لصاحبها فقابلها بصفة ثابتة كذلك ناصح أمين.

كما أدرك الفخر الرازي دلالة التلوين بين الفعلية والاسمية على التجدد والثبات “فلما كان من عادة نوح – عليه السلام – العود إلى تجديد تلك الدعوة في كل يوم، وفي كل ساعة لا جرم ذكره بصيغة الفعل فقال: وأنصح لكم. وأمّا هود – عليه السلام – فقوله: وأنا لكم ناصح يدلُّ على كونه مثبتًا في تلك النصيحة مستقرًا فيها”.

(3) وتتجاوز القيمة التعبيرية للتركيب التي ارتادها ابن الزبير ههنا مع مراعاة السياق القرآني لنسق المغايرة بين الفعلية الدالة على الحدوث والتجدد والاسمية الدالة على الثبوت والاستقرار للتركيبين: ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾، و﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ في سياق قوله تعالى في وصف المنافقين: ﴿وَإِذَا نَفُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة 14]، حيث ذكر أن: “المنافقين خاطبوا المؤمنين بالصيغة الفعلية الدالة على الحدوث والتجدد آمنًا، وخاطبوا إخوانهم وشياطينهم بالصيغة الاسمية الدالة على الثبوت والدوام فقالوا: إنا معكم”.

والتحوُّل في التركيب من الفعلية إلى الاسمية؛ إظهار للثبات على معتقدهم الفاسد، وأن ما خاطبوا به المؤمنين أمر متجدد بسبب لقائهم؛ ثقة فقط. ويميل الكرمانى للسياق اللغوي؛ لبيان الدققة التعبيرية للتغاير بين الفعلية والاسمية في سياقهما.

(4) قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾

فقد جاء في بدء الآية بصيغة المضارع (يعذبهم) ثم ذكر في السياق ذاته صيغة الاسم (معذبهم)، لا شك أن اختلاف الصيغة لم يأت اعتبارًا وحاشا أن يكون كذلك بل جاء لغاية وغرض قصدي أراه سبحانه وتعالى، وهو أنه جعل الاستغفار مانعًا ثابتًا من العذاب بخلاف بقاء الرسول (صلى الله عليه وسلم) بينهم، فالعذاب موقوت ببقائه بينهم، فذكر الحالة الثابتة بالصيغة الاسمية، أما الحالة الطارئة والموقوتة فقد جاء بالصيغة الفعلية.

ب- بين الفعل المضارع والمصدر:

وردت صيغة يكذبون في قوله عز وجل: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكذِّبُونَ﴾ [الانشقاق 22]،
وصيغة المصدر تكذيب في قوله سبحانه: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ [البروج 19].

استغلَّ الخطيبُ الإسكافيُّ العلةَ نفسها في الكشف عن سرِّ هذا التَّغَايِرِ في مبنى الفعلين، فربط
بينه وبين السِّيَاقِ اللُّغَوِيِّ المَتمَثِّلِ في الفواصل في السُّورَتَيْنِ مع صحَّةِ المعنى واللَّفْظِ.

فالتَّصْيِغَتَانِ معناهما واحد، وإنَّما اختلف اللَّفْظَانِ، مراعاةً للفواصل فصيغة المضارع؛ مراعاةً
لما قبلها، وصيغة المصدر جاءت في فواصل مردفة بياء، أو واو، يقول: "إنَّ ما قبل
الأولى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ* وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ* بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكذِّبُونَ﴾
[الانشقاق 20: 22] فكانت الفواصل التي تقدمتها على يفعلون فجعلت هذه تابعة لها مع صحَّةِ
المعنى واللَّفْظِ، والثَّانِيَةِ في فواصل بياء أو واو، وهي قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ*
فِرْعَوْنُ وَثَمُودَ* بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ* وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ [البروج 17:
20] وعلى ذلك بُنِيَتِ السُّورَةُ فكان حملها على نظائرها من السُّورِ أُولَى مع صحَّةِ اللَّفْظِ
والمعنى".

ووافقه في مراعاته لفواصل الآيات؛ اعتماداً على السياقين اللُّغَوِيِّ والحَالِيِّ:
الكرمانيُّ، والأنصاريُّ.

ولحظ ابن الرُّبَيْرِ الغرناطيُّ إيثار النَّسْقِ القرآنيِّ المغايرة بين الصِّيغَتَيْنِ لسِيَاقِ الحَالِ في
التَّرْكِيبَيْنِ وعلاقته بالسِّيَاقِ السَّابِقِ للصِّيغَتَيْنِ كلتيهما، فأية الانشقاق سبقها وعيد لم يقع، فناسب
الإتيان بلفظ المضارع للدلالة على الحال والاستقبال.

أمَّا آية البروج فقد سبقها معاقبة آل فرعون وأخذهم وقد مضى زمانهم، فناسب الإتيان
بالمصدر؛ ليدلَّ على أنَّ ذلك شأنهم فيما سبق وأنَّ ذلك شأنهم أبداً، فيقول: "إنَّ آية الانشقاق
تقدِّمها وعيدٌ أخروي علةٌ لم يقع بعد، وهم مكذِّبون بجميعه، فجاء هنا باللَّفْظِ المقول على
الاستقبال.... فأما آية البروج فقد تقدمها قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ* فِرْعَوْنُ وَثَمُودَ﴾

[البروج 17، 18]، وحديث هؤلاء وأخذهم بتكذيبهم قد تقدّم ومضى زمانه وهؤلاء مستمرون على تكذيبهم فقيل: في تكذيب وجيء بالمصدر؛ ليحرز تماديهم، وأنّ ذلك شأنهم أبداً فيما أخبرهم به”.

ولم يقف التوجيه الدلالي لهذه المغايرة عند حدّ الفعلية والاسميّة ودلالاتهما، بل تعدّاهما لأغراض أخرى يتمخض عنها السيّاق في موضعه، من هذه الأغراض: عدم مماثلة قوم فرعون وثمرود لهؤلاء المكذبين، بل هم أشدّ تكذيباً وطغياناً، كما أنّ التّكذيب محاط بهم من كل مكان، هذا ما ألمح إليه الألوسيّ – في توجيه آية البروج – بقوله: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي من قومك... ﴿فِي تَكْذِيبٍ﴾ اضطراب انتقالي عن مماثلتهم لهم أي قوم فرعون وثمرود، وبيان لكونهم أشدّ منهم في الكفر والطغيان كما نبئ عنه العدول عن يكذبون إلى في تكذيب المفيد لإحاطة التّكذيب بهم إحاطة الظرف بمظروفه أو البحر بالفريق منه....”.

فكأنّ التّكذيب وعاء ضمّ الكافرين وأحاط بهم، كما أنّ هذا المعنى مناسب مع النّسق القرآني بعد آية البروج، وهو قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾.